الفصل الثالث
خصائص التعبير القرآني عن الانفعال

من خلال الدراسة السابقة لانفعالي الخوف و الغضب نستطيع أن نكوِّن صورة للتعبير القرآني عن الانفعال؛ فقد تميزت اللغة التي عبر بها القرآن الكريم عن الانفعالين بخصائص لغوية صورتهما بدقة بالغة، وجاء علماء علم النفس بتحليلاتهم المختلفة ليوضحوا مدى مطابقة هذا الوصف القرآني لما وجدوه كباحثين ودارسين للنفس الإنسانية؛ عبر عنها القرآن بلغة عربية فصيحة؛ دخلت إلي دقائق النفس البشرية، كأنها معمل تحليل وتصوير ، قام بتحليلها وتصويرها بدقة بالغة؛ فقد استطاعت تلك اللغة التمييز بين أنواع الانفعال الواحد ، وكذلك ما يمكن أن يصاحبه من انفعالات أخري.

لهذا كان علينا (بعد أن حللنا الانفعالين نفسيا ولغويا) أن نستخلص العلاقة بينهما من خلال هذا الفصل؛ فنقابل بين الحالة الانفعالية بخصائصها الدقيقة وبين القدرة اللغوية للعبارة القرآنية علي تصويرها، وكيف استخدم النص القرآني كل إمكانات اللغة في تصويره للانفعالين، بل كيف استخرج منها من بها من وسائل تعبير تظهر في دقة الألفاظ والتراكيب والأصوات والأبنية ، للتخرج لنا مكنون النفس البشرية، لنقول مع الراسخين في العلم **﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾** [آل عمران: ٧] آمنا به كل من عند ربنا؛ فصدقت يا ربي صدقت وبلَّغ نبيُك الكريم ما أرسلت.

نحاول هنا استخلاص بعض سمات اللغة الانفعالية في التعبير القرآني وقدرتها علي تصوير دقائق النفس الإنسانية عند انفعالها، في هذه المواقف:

أ ـ عند خوف موسى من العصا:

الأصوات:

جاء النبر في الكلمات (ولَّى ـ مدبرا ـ لم يعقب) علي المقطع الأول (وَلْ / مُدْ/ لَمْ) لإثارة انتباه السامع تجاه الأحداث السريعة؛ كسلوك هو رد فعل سريع من موسى جاء في شكل أحداث متتالية في سرعة شديدة، صدرت منه في التو واللحظة بعفوية تامة؛ نتيجة لما يعيشه الآن؛ فكانت بدايات الكلمات

كلها من مقطع من نوع واحد هو (ص ح ص) فكوَّن ذلك إيقاعا واحدا. منتظما. متكررا مع بداية كل كلمة، مما أعطي إحساسا بسرعة هذه الأحداث وتواليها منه.

"جان" جاءت من مقطع واحد (ص ح ح ص) لتنطق دفعة واحدة؛ فتصور لنا الفزع الذي يعيشه موسى مع تحول العصا عندما ينطق بها القارئ ويطيل الحركة الطويلة بين الصامتين؛ فنشعر معها كأنها تهتز فعلا أمامه الآن؛ ولهذا لم يقل الحق تبارك وتعالى كأنها شيطان أو عفريت لهذا السبب الصوتي.

المفردات:

استخدام الفعل "وليَّ" ليعبر عن شدة خوفه، لهذا سنراه يتكرر في مواقف انفعال خوف بكثرة وردت في القرآن الكريم[1].

كلمة"جان" صورت سبب الفزع الذي انتابه؛ فهي تهتز كأنها جان ففزع بشدة.

"يا موسي" كلمة طمأنة لموسى؛ جاءت واحدة في الموضعين، لتوقف فزعه. فهناك شخص بالمكان يعرفه باسمه، لذا نادي عليه فأقبل مطمئنا ناحية الصوت.

التركيب:

جاءت العبارة التي تخبر عن الفزع الشديد في جملتين قصيرتين، كأنها تصدر حكما ولا تخبر خبرا يصف رد فعله في هذه اللحظة، فصورت انفعال الخوف الشديد بثلاث أشياء، هي:الفعل "ولَّى" والحال "مدبرا".والفعل "لم يعقب".

والدليل علي أن العبارة حكم علي سلوك موسى لحظة رؤية الحية الإيجاز الشديد فيها بحذف الفاعل في الجملتين نجد هنا فعلين بينهما حال؛ الفعل الأول صوَّر سلوكه بعد الفزع بأن جرى، ثم جاء الحال ليصف حال جريه بأنها حال فرار (مدبرا) وليست حال إقبال، ثم يأتي الفعل الثاني (لم يعقب)

(١)كما سنرى في وصف خوف المنافقين (**مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**).

ليصف بصورة أدق ويوضح رد فعله علي انفعال الخوف كسلوك ناتج عن دافع هو شدة الفزع؛ وذلك بعدم التفاته خلفه، فانفعال الخوف الشديد منعه من مجرد النظر خلفه، طريق اللا عودة، خوفا من أن تتبعه الحية فلم نجد فاصلا بين الفعل ولي، والحال مدبرا مما يدل علي سرعة رد فعله علي هذا الحدث ـ ظهور الحية ـ فجأة فقد أفزعته، فولي مدبرا ولم يلتفت خلفه. كل هذه المعاني فهمناها من عبارة قصيرة جاءت في جملتين.

الدلالة:

التعبير عن معني السرعة الفائقة باستخدام الفعل الدال علي الحدث، أو ألفاظ أخرى تحمل الدلالة نفسها (السرعة الفائقة) نحو:

١ـ استخدامه الفعل الدال علي السرعة (وليَّ).

٢ـ التعبير عن معني السرعة بكلمات تنتمي إلي الحقل الدلالي نفسه، ولكنها ترتبط بأشياء أخري عرفت بالسرعة الشديدة أيضا، نحو: تركضون وتجمحون، فهما ينتميان إلي حقل السرعة وترتبطان بمخلوق عرف بالسرعة وهو الفرس.

ب ـ انفعال الخوف لدي موسى عند خروجه من مصر:

لقد فرق التعبير القرآني بين انفعال الخوف في حالة تحول العصا إلي ثعبان، وانفعال الخوف بعد قتله المصري؛ وذلك باستخدام فعلين يعبران عن معني واحد هو الذهاب (خرج/ ولي)، فكان كل منهما دقيق في موضعه في التعبير عن اختلاف نوع الانفعال علي الرغم من أنه انفعال واحد، هو انفعال الخوف، لكن رد فعل موسى علي الخوف في الموقفين جاء مختلفا ؛ وذلك لبيان الاختلاف في رد فعل انفعال الخوف في الموقفين عند الشخص الواحد

ج ـ الفرق بين (إذ / إذا) في التمييز بين أنواع الانفعال الواحد:

جاءت (إذا وإذ) في مواقف انفعالية مختلفة؛ لتعبرا عن رد الفعل علي انفعال واحد هو انفعال الخوف، فجاءت كل واحدة منهما في موضع مختلف عن أختها لتناسب هذا الموضع الذي جاءت فيه، لتبين بذلك اختلاف الدقيق بين أنواع الانفعال الواحد (انفعال الخوف) كما في هذه الآيات:

أولاً: (إذ) في سورة الأحزاب الآية ٩ و١٠:

جاءت (إذ) هنا للدلالة علي السرعة الفائقة لرد الفعل علي انفعال الخوف والفزع الشديدين في يوم الأحزاب، وذلك من خلال الظهور المفاجئ لجنود الكفار من كل مكان، فكان استخدام (إذ) ثلاث مرات للدلالة علي سرعة الأحداث وتتابعها والمباغتة في الفعل ورد الفعل؛ بهذه الجمل:

أ - **(إذ جاءتكم جنود)**: بداية هجوم الأعداء بغتة.(فعل: حادثة الهجوم)

ب - **(إذ جاءوكم)**: من كل مكان بهجوم مفاجئ أربككم (فعل: الإحاطة).

ج - **(إذ زاغت الأبصار)** زاغ البصر (رد الفعل علي الحدث والإحاطة)

التحليل اللغوي:جاءت (إذ) ثلاث مرات؛ فحملت في كل مرة إشارة :

١- صوتية إلي سرعة الحدث بتكوينها الصوتي من مقطع قصير مغلق.

٢- دلالية علي المباغتة في الفعل (جاءوكم) ورد الفعل (زاغت).

(إذ) في سورة غافر الآية ١٨:

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨] .

جاءت (إذ) هنا للدلالة علي السرعة الكبيرة لرد الفعل علي انفعال الخوف الشديد الذي يحدث للناس يوم القيامة، كأن القلوب وصلت بالفعل فجأة إلي الحناجر مشحونة مكبوتة بانفعال الخوف.

ثانياً: (إذا) في سورة آل عمران الآية ١١٩:

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ .

جاءت (إذا) هنا للتعبير عن انفعال الغضب والحسد المكبوت والمكظوم في نفوس المنافقين، لهذا جاءت (إذا) المكونة من مقطعين هما: (ص ح ص/ ص ح) لأن رد الفعل هنا ليس سريعا كما في الانفعالين السابقين، ولا يحتاج إلى السرعة في التعبير عنه، بل يحتاج إلي التمهل والتفكير الهادئ، وكبت هذا الانفعال والتعبير عنه بين المنافقين فقط.

(إذا) في سورة الأنبياء الآية ١٢:

﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾

جاءت (إذا) هنا لدلالة علي رد الفعل السريع، ولكن ليس بالسرعة السابقة التي رأيناها عند وصفه لفزع الناس يوم القيامة، أو التي رأيناها في

فزع الناس في الحرب، أما هنا فالأمر مختلف، فهؤلاء القوم أحسوا وتوقعوا فقط، كمجرد إحساس وتوقع لبأس الله، فقاموا يرقضون؛ لكن في سرعة أقل من حالة الفزع المفاجئ والرؤية العينية للهول، فهم في حالة شك في الأمر؛ فخرجوا يتحسسون الأمر، فجاءت (إذا) وليس (إذ) لتعبر عن الاختلاف في سرعة رد الفعل في الحالتين، فالفرق بين إذا وإذ صوتي، ليناسب طبيعة الانفعالين؛ الانفعال السريع وأشد منه سرعة.

د ـ أثر نمو الانفعال علي بناء العبارة الانفعالية:

عندما ينفعل الإنسان وينمو انفعاله ويزيد، ويعبر عن ذلك بعبارة تدل علي غضبه؛ فنجده يكررها بنفسها، مع زيادة تدل علي هذا النمو مع بقاء العبارة الأصلية، وهذا ما حدث للخضر عليه السلام عندما غضب من موسى عليه السلام؛ فقال له عبارة تكررت ثلاث مرات: **(إنك لن تستطيع معي صبرا)** مما يدل علي ثبات الذاكرة عند الانفعال علي عبارة واحدة يكررها مع زيادة تدل علي نمو الانفعال، انظر إلي هذه العبارات ولاحظ نمو الانفعال وتعبير اللغة عنه:

١ـ قال : **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** (الآية٦٧)

٢ـ قال أَلَمْ أَقُلْ: **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** (الآية٧٢)

٣ـ قال أَلَمْ أَقُل لَّكَ: **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا** (الآية٧٥)